في الذكرى السنوية لاغتيال قاسم عبد الامير عجام

مر عام على اغتيال قاسم عبد الامير عجام. نتوقف عند ذكراه، بعد ان القي القبض على القتلة الذين تحدثوا - ببرود من سلبت ارواحهم وعقولهم - امام الناس اجمع: قال احدهم: "سمعت انه يعمل في الثقافة او ما شابه... انا لا اعرفه... لقد كلفوني بقتله فقتلته".. فاية عدالة تناسب هذا الفعل؟ أي عدالة تنتصر للعقل وتحميه من موجات جهل اعمى؟... تحدث القتلة عن كيفية اغتياله بدم بارد، امام اعين المثقفين المشدودة إلى لحظة تطبيق العدالة، إلا ان القتلة لم يقولوا كلمة واحدة تسوغ قتل هكذا انسان... ومر ذكر قاسم على اسماع واعين الملايين سريعاً بوصفه عراقياً وحسب من بين الذين طالتهم ايادي الارهاب الوسخة.. يبقى السؤال كيف تطبق العدالة على قتلة لا يعرفون حتى قيمة ضحاياهم؟ هذا السؤال واسئلة كثيرة من نمطه، يحضر بشدة امامنا اليوم، ونحن نعيش الذكرى السنوية لاغتيال هذا المثقف الذي قال كلمته بوضوح، من دون مواربة، كلمة نعدها حقيقة. نقول: قالها واختطف روحه من هو اول الخاسرين في زمن العراق هذا.

المدى الثقافي

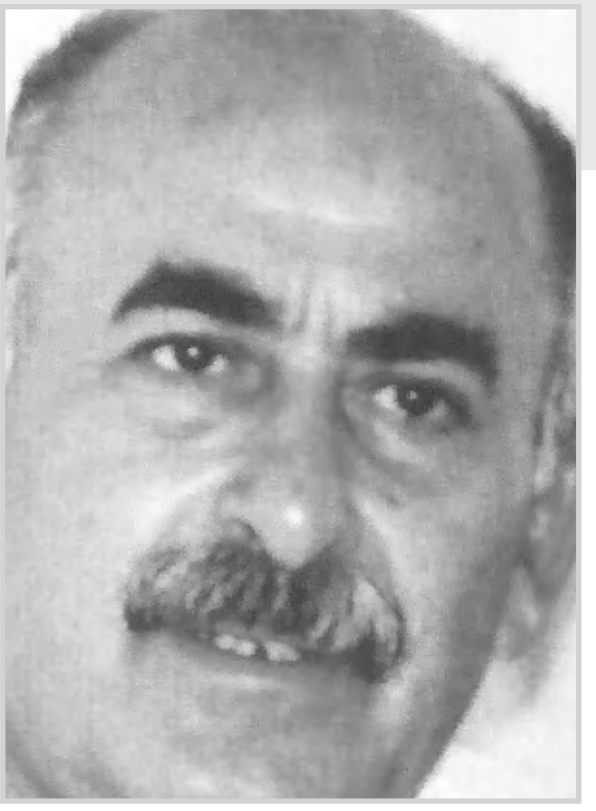

أمير نائم وسط البياض

ناجح المعموري

متوج بالمحبة، والكلمة بياضه، باقية تومئ له وتؤشر لنا مكانه امام منصات الكلام. أمير الشفاهية وسيد المرويات التي عرفته بوقت مبكر.
متوج بالحنين الذي تركه لنا، والزمنا باختياره لوناً واعطانا شجاعته يقظة الامراء البواسل الذين كان الانتماء صفة لهم منذ الازل وحتى الابد.
انه حكايتنا اليوم.. حكاية بياضه وتوسلنا بحيازة بعض منه.
امير مستلق في تاريخنا الحي، وهو لون الكلمة وصفاء ذاكرتنا. لقد تبادلنا الخوف معاً وصار صديقنا الوفي ملاذاً للحظة المستريب، وسيجنا بأمان الورد الذي علمنا الغناء وايقاع الربيع في صباحاتنا العائدة باجنحة فيوض الجلالة وانسجام مفاهيمه الربيعية ونبل روحه الطافية بعشق صاعد نحو البقاء والمثول في خميس فعاليتنا الثقافية، ونحن نمارس هوى ازاحة السوادات عن بياض الكلمات ونحن اكثر سعادة باتساع ما يريده الناس.. امير نائم وسط بياضه ومروياته المتروكة ارثاً لمن يريد الانتساب لها والتعلم منها، هل هي مفارقة ان يصير الامير سادنا للكلمة، وهم امراء القتل والظلام؟ هل هو صراع الامراء؟ لقد انتصرت امارة التوحش في زمن همجي، لكن زوالها آت ونعرف باشكال تلاشيه. ظل مرتلاً لمدونات أفضت بنا إلى اصول الحلة والحكمة وليس اعتباطاً ان تكون دراسته في هذا اليوم عن عبد الجبار عباس... قال عنه كلاماً بطريقة الامراء وان اختلفت معه في بعض تفاصيلها وكان سمحاً في حواره معي. غادرنا وكنت متوقعاً غيبته ولم اسمع منه غير ضحكة هادئة مثل حواراته.. كل شيء فيه جليل ورزين، مهيب امير في الذاكرة والتاريخ، ومرتضى بهما، حتى نلتم حوله... نقترب منه، يدنو الينا لنصبح معاً مساحة بياض الحلة وصوت موروثها الممتد صاعداً وشاخصاً امامنا، مغذياً اجيالنا بابهة ان يكون المثقف شريفاً وطاهراً ونقياً بحرفه وصوته.
ايها العراق هنا ولد الامير وفي الحلة غاب الورد هاوياً مثل شجرة. انظروا، وكلما رأيتم قمراً.. حدقوا جيداً، سترون اميراً نام وسط بياضنا وهو يومئ لكم كي تستعيدوا ربيعه ونتآخى معه حتى الابد.. تعالوا معي لنقرأ الامير في بياض كلماته.

جزء من دراسة لم تنشر للراحل

مقدمة في دراسة عبد الجبار عباس

قاسم عبد الامير عجام

١-النقد.... رسالة ثقافية

لأن عبد الجبار عباس ناقد رصين، فلا بد لمن يدرسه من ان يتحرى عوامل الرصانة في منجزه فينظر في تفاعلها مع بعضها، ولابد من النظر في تجليات تلك الرصانة من احكام نقدية وآليات واجراءات نقدية اثمرت تلك الاحكام، وضروري، ان لم نقل واجب، ان ينظر دارسه فيما وقف عنده الناقد الراحل للبحث في فلسفة اختياره التي رجحت الوقوف عند تلك الاعمال بالتعامل النقدي او بالمناقشة.
ولأن لعبد الجبار عباس اسلوبه في الكتابة.. فما هي مكوناته؟ وكيف تتجلى؟ واية مصطلحات اعتمدها الناقد؟ وهل وفق في التعبير من خلالها عن مفاهيمه او فهمه لهذه القضية او تلك؟
واذ يجهر عبد الجبار عباس بانه ناقد انطباعي، ويكرر حسنات منهجه في اكثر من مناسبة، افلا يدعونا ذلك لوقفة منهجية؟ واذ نزعم ان في انطباعية عبد الجبار ما يميزها.. فما هو؟ واين هي من الانطباعية العامة، واين هي من انطباعية آخرين؟
واذ يتخلل شعاع او أكثر من شمس المنهج الاجتماعي في خيمته الانطباعية، افلا يدعونا للنظر في ارضية ذلك التداخل وهل كان تفاعلاً؟ وكيف؟
وتساؤلات اخرى... محصلتها ان ثمة الكثير مما يجب عمله في دراسة عبد الجبار عباس ورصانة منجزه النقدي، وهو اكثر مما تستوعبه ورقة لمؤتمرها او حلقة نقاشية. ولذا ارتأينا ان تكون محتويات هذه الدراسة مقدمة تنتقي منه ما تراه يدل عليه.
وتحسب هذه المقدمة اننا نستطيع ان نلج عالم عبد الجبار عباس او صرحه النقدي من خلال ابواب ثلاثة:
الاول - باب الدور الثقافي للنقد والناقد
الثاني - باب المؤلف - كمفتاح من مفاتيح النص
الثالث - باب المقالة النقدية كما كتبها عبد الجبار عباس
وفي هذا الملخص سأكتفي بما يفضي اليه الباب الاول.

❖❖❖❖

واذ ننظر في الدور الثقافي الذي كان لمنجز عبد الجبار النقدي فلأننا لا نرى في النقد مجرد فاحصة لعناصر او آليات تشكيل النصوص، تنتهي عند توصيف تلك العناصر. بل هو تلك الرؤية لعناصر الابداع وكيف حملت رسالة النص الفكرية، وما هي تلك الرسالة. فليس العمل الادبي بمعزل عن سياق ثقافي يلعب والمؤلف دورهما في شكل وطريقة تركيبه. وبقدر نجاح النقد / الناقد في الكشف عن تفاعل عناصر الابداع ورسالة النص وذلك السياق الثقافي، امكن له ان يساعد على تحسين ذوق الثقافة التي ينتمي اليها.
ولقد مارس نقد عبد الجبار دوره الثقافي باكثر من صورة ووسيله، ليس كمحصلة نستخلصها نحن بالبحث والتمحيص فحسب، وانما مارسه فعلاً عن قناعة اعلنها في اكثر من مناسبة اذ يقول في احدى مقالاته عن النقد الادبي.. انه، أي النقد:
"مظهر حضاري واداة فعالة في مسيرة التطور الحضاري. والنقاد الكبار كانوا في كل عصر رسل ثقافة واصحاب رؤى".
واكثر من ذلك وضوحاً وتحديداً قوله.
"...فالنقد الحق (وجهة نظر) ترتبط على نحو مباشر ووثيق بنبض اللحظة الحضارية ومشكلات الواقع، فهو منغمس فيها ويستعين لمعالجتها باسلحة الكفاح الثقافي" والنقد العربي لا يشذ عن هذه القاعدة.
ويتبدى فهمه ذاك تطبيقاً من خلال:
١-اختياره للاعمال التي كتب عنها.
٢-محتوى نصوصه النقدية.. وهي في اتجاهين:
أ-نصوص في نقد الابداع.
ب-نصوص في نقد النقد.
٣-متابعته الظواهر والقضايا الثقافية.

١-اختيار الاعمال

لا نرى في اختيار الناقد لعمل ابداعي للتعامل معه نقدياً مجرد مسألة ذوقية - وان كانت الذائقة الفنية محصلة عوامل ذاتية واجتماعية وخبرات قرائية متشابكة - فحسب، وانما هو تعبير عن موقف فكري وفني للناقد. فهو اذ يختار عملاً للكتابة فيه، او للكشف عن جمالياته، فانما يرشحه للتفاعل معنا.. يرشحه اما للاندماج بالبنى الثقافية والاجتماعية، او للانفراد بما يراه له الناقد من مكانة في النسيج الابداعي والثقافي بعامة وهذه احدى مهمات النقد الثقافية.
لقد اختار عبد الجبار اعمالاً ابداعية في الشعر والقصة، عربية و/أو عراقية، مما رآه قد توفر على شروط فنية وفكرية تؤهلها للامتداد في ساحتنا الثقافية. فان لم تتوفر كلها - من وجهة نظره - يشير إلى ما كان على العمل المختار ان ينضجه ابداعياً كي يبلغ رسالته.
اختار اعمالاً حملت، على الاغلب، قضايا فكرية واجتماعية ساخنة فادار من خلالها حواراً خصباً اتاح ويتيح للمتلقي ان يكسب على صعيدي الفن او الحرفة الادبية والموقف الاجتماعي معاً. وقائمة اختياراته تعزز ما نذهب اليه..
ففي الرواية.. اختار اعمالاً لنجيب محفوظ وغائب طعمة فرمان وعبد الرحمن منيف وابو المعاطي ابو النجا وعبد الرحمن الربيعي وغيرهم.
وفي الشعر.. درس اعمالاً لسعدي يوسف والجواهري وبلند الحيدري وكاظم جواد ونجيب سرور وامل دنقل.. ناهيك عن دراسته المتميزة عن السياب.
وفي القصة القصيرة... اختار اعمالاً ليوسف ادريس وجليل القيسي وغازي العبادي واحمد خلف وادوار الخراط ويوسف الشاروني وغيرهم.
وفي نقد النقد.. ناقش مؤلفات نقدية مهمة ليوسف الصائغ، ومحسن اطيمش وعبد المحسن طه بدر وعلي عباس علوان وفاضل ثامر وغيرهم.
وهي اختيارات اقل ما توصف به انها نوافذ على عوالم لرموز مؤثرة في ابداعنا وثقافتنا العربية.

٢-محتوى نصوصه النقدية

قد يكون ضرورياً لتلمس الدور الثقافي في نص عبد الجبار عباس النقدي أن ننظر في آلياته النقدية أو في تطبيقات منهجه وهي نظرة أو وقفة تمثل دراسة لوحدها.
ولو اجملنا ملامح نصه النقدي لرأينا كم فيها من نوافذ ودروب مفتوحه على قضايا الثقافة عامة، ففيه:
١-تعريف بالنص / الكتاب: ويتم بطريقة تسمح للقارئ ان يلم بقضية العمل المنقود واتجاهاته الاساسية مما يساعده على الخروج من النص النقدي بموقف وفكرة عن العمل المنقود ان لم يحفزانه للعودة اليه، فعلى الاقل قد وفرا له معرفة به.. اذ يتطور الموقف النقدي، بتلك الطريقة، شيئاً فشيئاً مع تطور التعريف بالعمل فينمو الالمام بالنص الابداعي والموقف النقدي معاً.. على النقيض من الكتابات (النقدية) التي تنقض على العمل باحكام دونما حيثيات او تطلق آراء في النص دون ان تمد المتلقي بتعريف به - ربما لانها تفترض ان النص يعرفه الجميع!! - وبذلك تترك القارئ كالأطرش بالزفة!
بل قد يعرف عبد الجبار بمبدع (شاعر او قاص) من خلال النص الابداعي فيمد المتلقي بمعرفة عن النص ومبدعه وظروفه اضافة للموقف النقدي.
فقد عرف بالشاعر حسين عبد اللطيف (الشاب وقتها) من خلال مجموعته (اعلى الطرقات ارقب المارة) وعرف بالشاعر امل دنقل من خلال مجموعته (العهد اللآتي).
فاذا تأملنا حصيلة قارئ لمنجز عبد الجبار وما فيه من تعريف بما اختاره من اعمال، وقد اشرنا لأمثلة منها، فانها في الحقيقة معرفة باعمال ابداعية ومواقف فكرية وفنية لكتاب وكتب كبار.. تمثل للقارئ زاداً ثقافياً وافراً وقاعدة متينة للانطلاق منها إلى عوالم أوسع.
٢-تعريف بجماليات الجنس او النوع الادبي:
قصة كان العمل المنقود ام شعراً، لا يكتفي عبد الجبار حين يتناوله بالكشف عن عناصره الابداعية الخاصة، بل لا بد من ان يحيل من خلالها إلى جماليات الجنس الذي ينتمي اليه العمل قياساً على كلاسيكياته، فيضع النص المنقود ضمن شبكة جماليات الجنس او النوع الادبي، ومن خلالها يضعه ضمن المدرسة الفنية التي ينهج النص الابداعي منهجها او حتى لتسود فيه عناصرها. وقد يقارن المبدع بمبدعين آخرين مقارنة فنية، او يقارن عمله الذي هو بصدده باعمال سابقة له للكشف عن التطور او النكوص في مسيرة المبدع الفنية.
وفي كل حال لا بد من ان تتكشف من خلال نقده للنص رسالته الفكرية وصلات النص ومبدعه بمحيطه وبمرحلته الاجتماعية. او حتى مجرد مساهمته في خدمة الفن الذي يبدع في منطقته الفنية.
ومن الطبيعي ان تزود تلك الاجراءات النقدية المتلقي بخبرة فنية ومعرفة بالتفاعل المتبادل بين المبدع والنص والمحيط. ولو توقفنا عند امثلة من دراساته وما اشتملت عليه من زاد ثقافي، وهو ما فعلناه في متن الدراسة، لرأيناكم من القضايا تشتمل عليه نصوصه النقدية، ولكننا هنا نكتفي بالاشارة فقط لبعض تلك الدراسات، كدراسته لسعدي يوسف (شاعر القصائد المرئية) ودراسته لاقاصيص ابو النجا ودراسته لفن يوسف ادريس القصصي من خلال مجموعة (لغة الآي آي) فتلك دراسات تحلل الابداع وتدرس التطور الفكري للمبدع وتصلهما بمجتمعهما. اما دراسته لـ (الطبيعة في شعر الشابي) فنموذج لفن مبدع يؤثر بجماليات الفن الذي يعمل في دائرته لذا يدعو لاستيعاب درس الشابي في توظيف الطبيعة لاغناء فن الشعر.
وحتى حين يتناول نصاً يبتعد عن متطلباته الفنية - وقلما يفعل ذلك - فانه ينطلق من عثراته للتأكيد على اهمية الاصول الفنية للجنس الادبي، ويوضح كيف يمتد الخلل الفني في جسد النص تاركاً اثره السلبي على القدرة الايصالية للنص فحسب وانما على رؤيته الفكرية: وعلى موقعه من مرحلته الاجتماعية. ودراسته لرواية (ضباب في الظهيرة) لبرهان الخطيب مثل على ذلك.. اذ جاءت درساً في البناء الفني للرواية. ناهيك عن تناولها (أي الدراسة) لظاهرة حماس شباب القصة القصيرة لكتابة رواية (استكمالاً) لمجدهم القصصي!

كتاب تذكاري

قاسم عبد الامير عجام.. عين ثقافة العراق

المدى الثقافي

ضوءاً ووعياً" ذلك ما كتبه والقاه الكاتب الشهيد قاسم عبد الامير عجام كآخر عمل ادبي عام له القاه في ١٣ شباط ٢٠٠٤ في احتفالية اتحاد ادباء بابل ضمن كلمة مطولة عن معنى الشهادة لدى شهداء الرابع عشر من شباط ١٩٦٣، ذلك اليوم الدموي الذي عايشته اجيال من المناضلين من اجل الشعب العراقي وكان قاسم عجام واحداً من ابرز من دفعوا حياتهم الغالية بعد ذلك في سبيل الانسان العراقي وحريته.
نشر اتحاد ادباء بابل هذه الكلمة ضمن كتاب تذكاري اصدره عن الاديب الشهيد بعنوان (النور المذبوح - قاسم عبد الامير عجام عين ثقافة العراق) وقد تضمن هذا الكتاب السيرة الحياتية والدراسية للشهيد وكلمة الاتحاد وكلمات اصدقائه اسماعيل زاير امين قاسم خليل. د. ثامر العامري - جبار الكواز - جميل ابراهيم الكبيسي - حسين حسن - حنون مجيد وذوي الفقيد الراحل ثم كلمات ادباء وشعراء وقصاصين حفظوا للشهيد صداقته واحترامه للثقافة واهلها وطموحاته كمثقف وكاتب منهم زعيم الطائي وشاكر الانباري وصلاح اللبان وعدنان العوادي وعلي الحلي ونادية العزاوي ونصيف فلك واخرون اجمعوا فيها على ان اغتيال عجام هو اغتيال لرمز من رموز الثقافة العراقية الحديثة التي تحررت من سيف الجلاد وبدأت مشروعها الثقافي الحديث لخدمة الاجيال الحاضرة والقادمة إلا ان رصاصات الغدر قد اوقفت حلمها الشخصي في التغيير دون ان تستطيع ايقاف عجلة الثقافة العراقية المعاصرة التي كان عجام واحداً من روادها.
ضم الكتاب التذكاري ايضاً قصائد للشعراء: جعفر هجول - حسن لطيف - رشيد هرون - سعد الحداد - سعدي علوش - سليم السامرائي موفق محمد وغيرهم وكلمة وزارة الثقافة التي القاها الكاتب جمال حسن اضافة إلى كلمة الحزب الشيوعي العراقي واتحاد نقابات عمال بابل ونقابة المعلمين فيها اضافة إلى كلمة الباحث ناجح المعموري التي اختيرت عنواناً لهذا الكتاب.

"بين الادب والشهادة نسغ دائم، يلهم الادب ابداع القول وابتكار التصوير وشرف الانتماء لحاضر الناس ومستقبلهم ويعود للشهادة يجلو معانيها ويستقطر درسها فيصوغها عبرة ينشرها في الناس

قاسم عبد الامير عجام

ناهض الخياط

قاسم!
ايها القنديل الابيض!
لقد حسبوا انهم اطفؤوك
كما شبه لنا
اننا واريناك الثرى
هم اعداؤك
ونحن اخوتك
وما بيننا انت ضوء يسيل
تتفذ في عيونهم كالشظايا
ولنا مرايا
تتألق في ابتسامتك
وهي انت
ايها الهدوء الابيض
والحوار المتبسم
حين نمسك اطرافه
او يتعكر صفو الحديث
إلى أي شيء كنت تصغي؟
وانت مطرق بيننا
هل يخاطرك افق بعيد؟
ايها الجميل!
كيف احتفظت بطفولتك هكذا؟
ببراءتها وعنادها وحليبها
مدادا لصحائفك
فهل تهمل العدالة قاتليك
لتقتل نفسها؟
وترمي بميزانها
إلى اليد التي ذبحتنا؟
يا صديقي!
كم بكيت عليك في وحدتي
فللشعر طريقته في البكاء
وها هي القصيدة ساحبة خطوها
في شحوب المساء
فلنا، الآن، مزار جديد
اقامت الشمس هيكله
وفتح القمر نوافذه
وصاغت ثرياته النجوم
فتبدو السماء قريبة منا
نحن الذين نعرف
من يضمه هذا الضريح
فهل وضعنا معه
ما كان يعشقه:؟
قلمه وأوراقه، ورائحة منشورة القديم
انا اعرف
من يزوره ابداً كل يوم
احلامه...
النايات التي لا ينقطع حزنها
واطفالنا عندما يكبرون
حينما ينخسف القمر
ايها الضريح الجميل!
لقد جاءك ذوو الشعر الاسود بقيثاراتهم:
الصبي الذي تعلم كيف يرمي الشباك
الرجل الذي اقتنص الاسود في الوهاد
والنمور في البراري
الشيخ الذي يحمل قوس ظهره ومنكبيه
ليباركك
والسومرية التي اعاد رفاقك راسها
لتقبلك
ومعهم الضياء الذي كان يقضي سهرته
بين اوراقك
متابعا خطوتك
ايها الحبيب!
عزني...!
واعطني الكلمة التي انعت بها قاتليك
قبل ان ادعو الشيطان
ليخبرني بها.
من انتم ايها الشاحبون؟!
القادمون من تعاساتكم
لتمروا عبر دمنا نحو الجحيم
ايها اليائسون!
هل باستطاعتكم ان تفجروا القمر؟
او تخدشوا السماء؟
عمي صم
لقد ملأ القار عيونكم وآذانكم
فلن تروا غير ظلمة نفوسكم
ولن تسمعوا
غير ما يسمعه الغريق تحت المياه
جبناء..... جبناء!
ذلك ما خطه على جبينكم
الرصاص الذي اطلقتموه
ايها الاغبياء!
الثقافة عصية على الرصاص
ولكم ان تنظروا
كيف تحمي الوردة نفسها
فسددوا البنادق على نسيماتها
في الحدائق
وفي الشوارع
او في البيوت
هدف سهل
كما يظنه فيكم هذا الغباء.